المدونة
المجلد08 / العدد 02 جوان 2021. ص 1865- 1878

التمركز البيني لنقد النقد في نظريات الأدب- دراسة نقدية-

Inter-centering criticism of criticism in theories of literature, a critical study

عبد الرحمن عمارة1

أ. د. علي حميداتو♣

تاريخ الإرسال: 15 /01/ 2021	تاريخ القبول: 28 / 03 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

نحاول من خلال البحث، أن نأخذ توجها بينيا بين نظريات الأدب الرائجة، لنتعرف على مظاهر القصور التي أخذتها كل نظرية جديدة على نظرية سبقتها من حيث الظهور، وخلال هذا التوجه، سنبرز ملامح نقد النقد في الخطابات التنظيرية لكل نظرية أدبية تلي أخرى، مستعملين في ذلك الوصف والتحليل، وموظفين الاستقراء والاستنباط كآليتين عقليتين وتجريبيتين، نستعين بها كلها لاستكناه مضامين نظريات الأدب.

الكلمات المفتاحية: نظريات الأدب؛ نقد النقد؛ البينية؛ الاستقراء؛ الاستنباط.

Abstract:

Through research, we are trying to take an inter-trend between popular literary theories, to identify the deficiencies that each new theory took on the theory that preceded it in terms of emergence, and during this approach, we will highlight the features of criticism of criticism in theoretical discourses for every literary theory that follows another, using in This descriptive and analytical approach, and employees of induction and deduction as two rational and experimental mechanisms, which we all use, for the contents of critical literature theories.

المؤلف المرسل: **عمارة عبد الرحمن** abderrahmenamara27@gmail.com

1مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية/ جامعة يحيى فارس/ المدية/
abderrahmenamara27@gmail.com

♣ جامعة لونيسي علي/ البليدة2 / alihamidatou41@gmail.com

Key words: Literature theories; Criticism of criticism; Interlayer; induction; Deduction.

*** *** ***

مقدمة:

يأخذ الحديث عن الأدب عديد التوجهات، فمنه الحديث الذي يتناوله منهجيا وينتهي بتشكل المناهج النقدية، ومنه الحديث الذي يتناوله تنظيرا وينتهي بتشكل نظريات الأدب، ومنه الحديث الذي يتناوله في إطار اتجاه نقدي ممنهج وينتهي إلى ظهور المدارس النقدية المختلفة، ومنه الذي يأخذ بعدا أعمق مما سبق، على صعيد الفكر والذوات والوجود والمصير فينتهي إلى ما يسمى بالعلوم الإنسانية، وهكذا إلى أكبر بكثير أو أقل، حسب الموضوع الذي يطرقه الباحث في تناوله للأدب بالدراسة.

ينطلق بحثنا من جملة من التساؤلات، لعل أهمها:

- هل النقد منفصل عن النظرية...؟
- هل نقد النقد منفصل عن النقد الأدبي؟
- ما هي المآخذ التي سجلتها كل نظرية أدبية على سابقتها؟

وغيرها من الأسئلة، التي قد لا يسعها هذا البحث، ولا يزعم أنه سيفعل، في خضم تجاذبات الفعل التنظيري والآلة النقدية والذائقة الجمالية التي تشكل في مجموعها ما نسميه اليوم بنظرية الأدب.

ورغم كل هذا، فليس في وسعنا أن ننكر بعض تلك الجهود التي حاولت التعريف بهذا الميدان البحثي. الأمر الذي يدفعنا إلى بسط بعض منها، كي نستدل بها، ونحن نواجه عقبات هذا البحث المضني؛ فليس من السهل أن تمارس النقد الأدبي، بله أن تنقد مصطلحا أو منهجا أو نظرية أو مدرسة نقدية برمتها؛ فهذا ضرب من المخاطرة الابستيمولوجية.

وقبل أن نضع القارئ الكريم في لب البحث، لا بأس أن نعرف ببعض المصطلحات المهمة، التي لا يمكن أن نباشر موضوعنا في غنى عنها، وهي: المصطلح، المنهج، النظرية،

المدرسة. فيما سيتضمن سردنا لتعريفاتها حديثا عن المصطلح النقدي، والمنهج النقدي والنظرية الأدبية والمدرسة النقدية، يقينا منا بأن لكل علم مصطلحاته ومناهجه ونظرياته ومدارسه، وحرصا على البقاء ضمن مجال البحث المسطّر.

1- ضبط مصطلحات البحث:

1-1- المصطلح النقدي:

يأتي المصطلح Terme للدلالة على "وحدة معجمية وظيفتها التسمية، تُعرّف في علاقة بوحدات أخرى من نفس النمط داخل ميدان نشاطٍ يُحدّد تحديدا ضيِّقًا"[1].

ويمكن أن يرد –كذلك- للدلالة على أحد أمرين:[2]

1- كلمة أو شبه جملة تعبّر عن فكرة محدّدة أو وظيفة محدّدة في حقل معيّن من العلوم والآداب والمعارف.

2- كلمة أو تعبير يكون جزءًا من لغة مهنة أو جملة محدّدة أو نشاط محدّد.

وعليه، فالمصطلح أداة العلوم في التميز عن بعضها البعض؛ قد تكون في شكل كلمات، أو أشباه جمل، للدلالة على معنى محدد أو وظيفة معينة، داخل تخصص ما.

وهو عند (يوسف وغليسي) "علامة لغوية خاصة تقوم على ركنيْن أساسييْن، لا سبيل إلى فصل دالّها التعبيري عن مدلولها المضموني، أو حدّها عن مفهومها، أحدهما: الشكل forme أو التسمية dénomination، والآخر المعنى sens أو المفهوم notion أو التصوّر concept... يوحّدهما "التحديد" أو "التعريف" définition؛ أي الوصف اللفظيُّ للمتصوّر الذّهنيّ"[3]

يذهب (جابر عصفور) إلى أن "المصطلح وسيلة العلم في تحديد مفهوماته وتحرير تصوراته من حيث هو مسعى مجاوز للفرد حتى لو صيغ بواسطة فرد، ودلالته التعاقدية نتيجة جهد جمعي هي نوع من الاتفاق على أنّ دالا بعينه يؤدي مدلولا معرفيا



من دون غيره في حقل العلم الإنساني، خصوصا من حيث ما يتصف به العلم من تجريد وتعميم لا يفارقهما دال المصطلح في إشارته إلى مدلوله"[4]

انطلاقا مما سبق، نجد أن للمصطلح دورا مهما في ضبط منهجية اشتغال المعارف والعلوم، وكذا تحديد توجهات المقاربات والمناهج، من خلال نوعية المصطلحات المستعملة.

ويأتي المصطلح النقدي للدلالة على ما يعرف به النقد في منظومته المعرفية من تواضعات
واستعمالات مفرداتية، تميزه عن غيره من مجالات العلوم الإنسانية المختلفة.

1-2- المنهج النقدي:

يذهب (موريس أنجرس) إلى تحديد مصطلح المنهج "بمجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبنّاة من أجل الوصول إلى نتيجة ... وهو عبارة عن سلسلة من المراحل المتتالية التي ينبغي اتباعها بكيفية منسّقة ومنظّمة"[5]، حتى يتم الوصول إلى المعلومات المناسبة.

والمنهج النقدي عند (صلاح فضل) "له مفهومان، أحدهما عام والآخر خاص. أما العام فيرتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها... أما الخاص، فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية، وبطرق معالجة القضايا الأدبية والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها"[6]

وهاهنا يأخذ المنهج النقدي تمظهره المعرفي والإجرائي بين توجهين؛ أحدهما عام يتعلق بتموضعه إزاء العلوم الإنسانية ككل، والآخر، يتجلى أثناء تطبيق أدواته على النصوص دراسة وتحليلا وتأويلا.

1-3- النظرية النقدية:

يقول (عبد الملك مرتاض): "إن مفهوم "نظرية" ... « théorie » مصطلح مشترك بين العلوم جميعًا؛ فهو من المصطلحات التي تشيع في كل العلوم، وهو مفتاح المفاهيم التي

ISSN 2437-0819 EISSN: 2602-6333

تروج فيها، وأداة صارمة لجماع قواعدها وأصولها"[7]، غير أنها تختلف في المصطلحات التي تتبناها، والمناهج التي تستخدمها، في دراساتها المختلفة.

كما تدل على "مجموع من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها"[8].

لأن قضية التنظيم والترتيب مطلوبة بشدة في التأسيس للمصطلحات والمناهج والنظريات، وإلا عمت الفوضى ميادين البحث العلمي والإنساني.

ومما يمكن أن يزيد الأمر تعقيدا في إشكالية المصطلح النقدي، كثرة المصطلحات الدالة على مفهوم واحد. يعلق (فاضل ثامر) على ذلك قائلا: "في الحقيقة، فإن عدم استقرار النقاد والدارسين على مصطلح المنهج وانتقالهم إلى مصطلحات مجاورة أو مقارِبة كالاتجاه والمدرسة والمنحى والمقارَبة أمرٌ شائعٌ حتى بالنسبة لكبار النقاد والدارسين"[9]، غير أن هذا لا يعدو أن يكون خلطا واضحا بين المصطلحات داخل العلم الواحد.

1-4- المدرسة النقدية:

يصبح الحديث مقتضبا بشدة إن نحن تحدثنا مباشرة عن المدرسة النقدية، ذلك أنه لا تنشأ المدارس النقدية حتى تنشأ المدارس الأدبية، وإن لم تكن مدارس على نحو منظم، تكون على شكل تيارات أو حركات أو توجهات أدبية، تعتمد أفقا تفكيريا واحدا، ونمطا إبداعيا موحّدا، وهو الأمر الذي أشار إليه (سعيد علوش) في قوله: "تشير المدرسة الأدبية بالمعنى الدقيق إلى تحلّق جماعة أدباء حول البرنامج الجمالي، وغالبا حول المنشورات وقد توسّع النقد في الاصطلاح ليطلقه على جماعات حركات توجهات كما هو شأن جماعة الثريا le pleiade حول "رونسار" وكانت أول مدرسة... تعرف بوحدة التفكير والشكل الأدبي وجماعة كتّاب منسجمين. فالمدرسة تشير إلى تيارات جمالية قبل القرن 19، إذ ظهرت سلسلة اصطلاحات للإشارة إلى جماعة كتّاب، وكانت الرومانسية أول تيار مُبَنْيَنٍ لتسويغ تسمية مدرسة، لكن النسق المدرسي ينزع إلى تجميد التصنيفات الأنطولوجية"[10]



وعليه، لا ينشأ النقد إلا من تلك الممارسات الإبداعية، غير أن الحديث عن نشأة المدرسة النقدية قد يطرح إشكالية أخرى، تتعلق بمسألة مكونات هذه المدرسة على الصعيد المنهجي والمصطلحاتي وثقافة من يزاولون نشاطهم النقدي تحت ظلها... وإشكالية أخرى تتعلق بالعلاقة المزدوجة التي تربط المدرسة النقدية بالإبداع عموما، وعلاقتها بذاتها في الوقت نفسه؛ ولذلك، قد لا يعود تعريف مصطلح (المدرسة النقدية) ممكنا إلا داخل هذا الفضاء الابستيمولوجي والفكري.

2- خطاب النقد في نظريات الأدب، مقاربة بينية:

في الحقيقة، تشير البينية في الدراسات الثقافية إلى مفهوم الوسط وموقع الوسط بين ثقافتين[11]، غير أننا سنوظّف هذا المفهوم لتعقّب ملامح نقد النقد بين نظريات الأدب؛ أي أنها بينية نقدية، ترنو تتبع مآخذ كل نظرية أدبية على سابقتها، باستعمال الوصف والتحليل، و الاستقراء والاستنباط.

2-1- مدخل إلى أهم نظريات الأدب:

عندما نطالع بعض مصادر نظرية الأدب ونستقرئها، نجد أنه "قد غلبت على كل عصر من عصور الأدب نظرية نقدية مثلما غلب على كل فن أدبي نظرية أدبية تصلح للتطبيق في حدوده تطبيقا يمكّن الدارس من التمييز بين صحيح هذا النوع الأدبي وفاسده... نشير إلى نظرية الدراما عند أرسطو؛ فالدراما عُرفت قبل ظهوره بقرون نضجت خلالها المأساة والملهاة نضجا كبيرا، ولم يكن شعراء الدراما الإغريق من أمثال صوفوكليس أو يوريبيدس يعرفون شيئا عن قواعد هذه المسرحية بالرغم من أنهم اعتادوها اعتيادا. وقد جاء أرسطو واستخلص قواعد لهذا الفن أدرجها في كتابه القيم "فن الشعر" ars poetica أو البويطيقا. ونستطيع قول هذا الشيء عن الشعر العربي؛ فقد عُرف قبل الخليل بن أحمد بمئات السنين، ولم يكن الشعراء يعرفون قواعد العروض وإنما اعتادوها واكتسبوها سليقة من غير درس، وجاء الخليل واستنبط الأوزان والأعاريض من ذلك الشعر... وبعبارة أوجز، فإن التطبيق عادة يسبق التنظير"[12]

وتجدر الإشارة، إلى أنه حالما نتحدث عن مصطلح نظرية الأدب، نجد أنفسنا آليا نستحضر مصطلحات أخرى، تقترب من مجال اشتغالها، وربما اختلط الأمر على البعض، في التفريق بين كل منها؛ نعني بذلك: تاريخ الأدب والنقد الأدبي وما يفرق كلا منهما عن نظرية الأدب، وعليه يمكن القول، إن "تاريخ الأدب هو بحث في الأديب كيف أنتج أدبه وفي البيئة كيف أنتجت أديبها الذي أنتج أدبه. والنقد الأدبي بحث في النص كيف تشكلت مكوناته حتى أصبح الناس يتلقونه على أنه أدب بعد أن ركبه صاحبه على أنه أدب. وأما النظرية الأدبية، فبحث في الظاهرة الأدبية من خلال تجلياتها النوعية سعيا إلى إدراك الكليات التي تحكم كل إبداعٍ في مجال الفن القولي"[13].

الأمر –إذن- منوط بالتتبع والاستقراء في كلٍّ منها؛ ففي النقد الأدبي تتبع لآليات تشكل الأدبية في النصوص، وفي تاريخ الأدب تتبع لحياة الأديب وَبيئته اللذان ساهما في تشكل أدبه، فيما يعتبر تتبع نظرية الأدب تتبعا نوعيا، تتباين على إثره الأجناس الأدبية، وتُدرك في ضوئه المبادئ الكلية التي تحكم اشتغال هذه الأجناس، وكيفية تشكّلها.

يأخذ الحديث عن نظريات الأدب عديد التوجهات، ويتشعب حتى تتداخل مباحثه مع مباحث الإستطيقا وتاريخ الفلسفة والشعر والمسرح وغيرها من الأجناس، غير أننا سنقصر الحديث على بعض النظريات المشهورة التي أفاضت فيها أقلام النقاد والفلاسفة، على شاكلة: نظرية المحاكاة، نظرية التعبير، نظرية الخلق، ونظرية الانعكاس.

2-2- نظرية المحاكاة:

يعتبر أفلاطون (427 – 347 ق. م) و أرسطو (384 – 322 ق. م) من أشهر من نظّرا لهذه النظرية؛ غير أنّ لكلّ منهما تصوّره الخاصّ وإن تشابهت لديهما تسمية النظرية المحاكاتية.

فأفلاطون "يرى أن كل الفنون قائمة على التقليد (محاكاة للمحاكاة). وينطلق في هذا من إيمانه واستناده إلى الفلسفة المثالية التي ترى أنّ الوعي أسبق في الوجود من المادة، لذلك يرى أنّ الكون مقسّم إلى عالم مثالي وعالم محسوس طبيعي مادي. والعالم المثالي



أو عالم المُثل يتضمّن الحقائق المطلقة والأفكار الخالصة والمفاهيم الصافية النقيّة، أما العالم الطبيعي أو عالم الموجودات فهو –بكل ما يحتويه من أشياء وأشجار وأنهار وأدب ولغة.. إلخ- مجرد صورة مشوّهة ومزيّفة عن عالم المُثل الأوّل الذي خلقه الله.. إنّ العالم الطبيعيّ محاكاة لعالم المُثل والأفكار الخالصة فلذلك فهو ناقص وَمُزيّف"[14] ومِن هنا يذهب (أفلاطون) للاستنتاج إلى أنّ "الشاعر لا يعمل على بعث الفضيلة والأخلاق وتهذيب النفوس لأنّ شعره مستمدّ من عالم غير حقيقي، فمعرفة الحقيقة المطلقة ومحاكاتها كفيلان بإصلاح الأجيال، وهذه المعرفة لا تتوفر إلا للفيلسوف فقط"[15]، وعليه، فنظرية المحاكاة عنده تكاد تكون مقارنة بين ما يبدعه الشاعر من فن وما يصنعه الفيلسوف من معرفة، ونسبة كل منهما إلى عالم المثل، الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عبر التفلسف.

يستعمل (أرسطو) نفس مصطلح أستاذه (أفلاطون)، ولكن بمحمول دلالي آخر، فهو يرى "بأنّ الأديب حين يحاكي، فإنه لا ينقل فقط بل يتصرّف في هذا المنقول... الشاعر لا يحاكي ما هو كائن ولكنه يحاكي ما يمكن أن يكون أو ما ينبغي أن يكون بالضرورة أو احتمالٌ... فالطبيعة ناقصة والفن يتمّم ما في الطبيعة من نقص، لذلك فإنّ الشعر في نظره مثاليّ وليس نسخة طبق الأصل عن الحياة الإنسانية"[16]. إنه نسخة معدّلة ومحسّنة لما هو موجود فعلا.. "يسعى إلى استيلاده عملا ملموسا ليمتع نفسه، ويمتع الآخرين"[17]، ولعل لمصطلح (التطهير) نصيبا من هذا السياق.

نستنتج مما سبق، أنّ أفلاطون "فيلسوف متطلع ببصره إلى السماء، وأرسطو يركّز بصره على الأرض"[18] ويبقى لكلّ منهما، نصيب من الصّواب، وإن كان التعبير داخل الأدب يكاد يخلو من تمييز بين ما هو حقيقة وما هو كذب وافتراء.

3-2- نظرية التعبير:

جاءت نظرية التعبير كردّ فعل على ما صرّحت به نظرية المحاكاة، وتكملة لما لم تلتفت إليه، سعيا إلى تدقيق النظر وتوسيعه، لتشكيل تصوّر نظريّ شامل، يحكم النظرية الأدبية، ويحدّد توجّهها.

وهي "نظرية أخذت بها بعض المناهج النقدية، وعلى الخصوص المناهج التأثرية، التي اعتبرت الإبداع الأدبي تدفقا تلقائيا للعواطف الجيّاشة عند الأديب"[19]

هي إذن، بمثابة نقد تم توجيهه على مستوى النظرية؛ ونجد هذا النقد بالضبط واضحا إذا قاربناه على مستوى أقطاب التواصل المعروفة: المرسل، الرسالة، المتلقي؛ لتكون نظرية التعبير قد ركّزت بشكل بارز على علاقة الرسالة (الأدب) بالمرسل (المبدع)؛ فهي إذن تغيير للقطب الذي نقارب على ضوئه الأدب.

ولعل أهمّ مذهب أدبيّ تجلّت فيه ملامح هذه النظرية-نعني نظرية التعبير-، هو المذهب الرومانسي، الذي أعطى للذات المبدعة قيمتها التي كادت تفقدها لدى أنصار المذهب الكلاسيكي.

ويمكن تلخيص أهم خصائص الرومانسية فيما يلي:[20]

- الاهتمام بالعاطفة وبالأعمال الشعرية.
- الاهتمام بالفرد ورغبته.
- الميل إلى الشعر الغنائي.
- مناجاة الطبيعة ومعاملتها على أنها كائن حي يشارك الشعراء مشاعرهم.
- تتصف بالشكوى والحزن والألم.
- تعتمد على الخيال والتصوير في التعبير عن الأفكار.
- تحاول الإبداع والتجديد في أسلوب الشعر وأغراضه.
- لا تحفل بالقواعد اللغوية الموروثة، بل تهتم بالتعبير عن المعنى.

ويختلف أنصار نظرية التعبير عن نظرية المحاكاة، في أنهم يُقبلون على الإبداع الأدبي بحضور عقلي، وليست أعمالهم مجرد محاكاة وتقليد، والتعبير الفني عندهم "تعبير إرادي يقترن بخلق عمل يدخل التراث الثقافي لمجتمع معين"[21]

كما أنهم يدعون إلى حرية الفن، والشعر المجنح بأشجان العاطفة، والممعن في الأحلام والخيالات والرؤى وحب الطبيعة، والمتسم بالطابع الفني، والأصالة المبتدعة،



والشخصية الملهمة، والروح الغنائي الأخّاذ، والانطواء على النفس، والثورة على كل ما هو قديم، ومن الأدباء الذين عرفوا بهذا: هوجو، ولامارتين، وألفريد دي موسيه، وألفريد دي فيني[22]، ووليم وردزورث wordworth (1770-1850) الذي يقول إن "الشعر تدفق تلقائي للمشاعر القوية نابع من الانفعال emotion الذي يستعيده الشاعر بهدوء، وعملية الاسترجاع هذه تطلق بدورها عملية جديدة أخرى هي الخلق والإبداع"[23]

وهي المقولة التي نجد لها صدًى في تراثنا النقدي والبلاغي القديم، "قال الباهلي: قيل لأعرابي: ما بالُ المراثي أجود أشعاركم؟ قال: لأننا نقول وأكبادُنا تحترق... قال أبو الحسن: كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراثي، قيل: ولم ذاك؟ قيل: لأنها تدل على مكارم الأخلاق"[24]

ومن المآخذ التي سجلها (محمد مندور) على رواد النقد الرومانسي: جنوحهم إلى استحضار محيط ومجتمع المبدع عند التحليل، ليستعينوا بها كمعطًى للحكم على أدبه، وهو يرى: "أن النقد في الأساس يهتم بالأدب وليس بالأشخاص، كي لا تختلط حدود العلم، وتتداخل ميادين البحث، علاوة على أن الإفراط في استقصاء أخبار الأديب قد تؤدي إلى مزيد من الكشوفات التي تشوّه شخصيته"[25]

وأيا كان الأمر، فإنّ المقام الذي أدخلنا إياه مندور، يناقش قضية السمعة في زمن كانت الأنظار متوجهة صوب الأدب نفسه؛ وهو إرهاص مبكر إلى الاهتمام بقطب من أقطاب التواصل في النظرية النقدية عموما هو (المبدع).

3-2- نظرية الخلق:

عندما نستقرئ مضامين هذه النظرية، نجدها تقرّ بالفن الخالص الذي يرفض الارتباط بأي قيمة مقصودة في حد ذاتها أو توظيفٍ يجعل من الأدب والفن موجها لخدمة هدف ما.

وتستند هذه النظرية إلى الفلسفة المثالية الذاتية، ويمكن اعتبارها دمجا بين المذهبين الرمزي والتعبيري، على اعتبار أنه لا تعبير إلا بالرمز ولا رمز إلا عن طريق التعبير.

ووفق هذه النظرية، فليس الفن نتيجة للعواطف كما رأى أنصار نظرية التعبير، ولكنه حاصل بفعل الخلق والابتكار الذي يجعل اللغة أكثر إيحاءً وتأثيرًا.

ومن ملامح نقد النقد في هذه النظرية، أنها نقد للإيديولوجيا التي انطلق منها النقاد الرومانسيون في نظرتهم للأدب، فهو نقد للفكرة التي يتشكل منها الأدب، ويستمد منها وجوده.

4- نظرية الانعكاس:

يأتي الأدب عند أنصار هذه النظرية، انعكاسا للحياة الواقعية للأفراد والجماعات؛ مع اختلاف ظاهر في درجة الانعكاس، يحكمها وعي المبدع وثقافته وبيئته وإيديولوجيته؛ الأمر الذي يجعل الانعكاس يتفاوت من مبدع إلى آخر، مع الأخذ في الاعتبار سيطرة الأنظمة الحاكمة، وإسهامها في ترويج أدب على حساب آخر.

فنجد (لوكاش) على سبيل المثال "يستخدم الاتجاه الواقعي بدرجة عالية من الذكاء، والأدب حسب مفهومه ليس هو الواقع أو الحقيقة بل هو انعكاس لهما، ولما كان لوكاش متخصصا في نقد الأعمال الروائية فقد كان يرفض الطبيعة كما ظهرت عند الأوربيين، واستبدل ذلك بنوع من الواقعية تكون فيها الرواية نوعا من الانعكاس الديناميكي للحقيقة"[26]، ليكون مفهوم الانعكاس عنده انعكاسا للحقيقة، وليس انعكاسا للواقع؛ على اعتبار أنّه قد يكون مزيّفا أو مفتعلًا.

خاتمة:

لا يمكن الحديث عن نظريات الأدب دون استحضارٍ لمذاهب الأدب، التي بدورها تستدعي الخوض في مناهج النقد وفلسفاتها التي نشأت عنها، وهو الأمر الذي يؤكد ارتباط كلٍّ منها بالآخر. كما لا يمكن رصد تاريخ مضبوط لتجليات كل ذلك في النقد والأدب العربيّيْن؛ لتوارد كلّ ما سبق متداخلا ومتقاربا، تكاد عملية الفصل والتصنيف معها أن تنعدم، في غنى أحدها عن الآخر؛ كما رأينا –مثلا- مع نظرية الخلق.



لقد أسهمت نظريات الأدب من خلال سيرورتها التاريخية، في استخلاص تصنيفات منهجية للنقد الأدبي، نجدها لدى بعضهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:[27]

- الاتجاه الأول: قراءة تهتم بالكاتب/ المؤلف ونجدها في المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية.

-الاتجاه الثاني: قراءة تهتم بالنص/ الأثر الأدبي ونجدها في المناهج النصوصية بعامة مثل البنائية والشعرية والسيميولوجية والتفكيكية.

-الاتجاه الثالث: قراءة تهتم بالمتلقي/ القارئ ونجدها في نظريات التلقي.

وقد ساعد على ظهور هذه التصنيفات، ذلك التمركز البيني لنقد النقد بين كلّ نظرية وأخرى، وبين كلّ منهج نقدي وآخر، الأمر الذي يجعلنا نقول: إن نقد النقد ليس مجالا منفصلا ألبتة عن سيرورة النقد الأدبي، بقدر ما هو اشتغال آخر من اشتغالات النقد نفسه، في محاولته لضبط آلياته ومناهجه ومصطلحاته وتطبيقاته، وتحيينها مع ما يشهده الواقع النقدي والفكري والإبداعي في العالم.

وقد توصّلنا من خلال هذا البحث، إلى أنّ نظريات الأدب لم تكن لتتعدد وتعرف ذلك التوسّع، لولا التوجه البينيّ الذي أخذته النظريات؛ ابتداء من نظرية التعبير كنقد لنظرية للمحاكاة، ثم نظرية الخلق كنقد لنظرية التعبير، ثم نظرية الانعكاس كنقد لنظرية الخلق وهكذا، مما ساعد على ظهور بعض ومضات نقد النقد، على مستوى الإيديولوجيا (الفكرة)، وبعض أقطاب نظرية الاتصال الجاكبسونية (المبدع- النص الرسالة) التي ساعدت كثيرا في تصنيف النظريات والمذاهب الأدبية والنقدية في وقت لاحق.

الهوامش

1 مجموعة مؤلفين، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمّود، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص549.

2 نواف نصار، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2007، ص192.

3 يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، ط1، 2008، ص27، 28.

4 جابر عصفور، تحديات الناقد المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، 2014، ص45.

5 موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص36.

6 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة مصر، 2002، ص10، 11.

7 عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، ط2، الجزائر، 2010، ص31.

8 موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ص471.

9 فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت لبنان، 1994، ص220.

10 سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2019، ص260.

11 يراجع: هومي بابا، موقع الثقافة، تر : ثائر ديب، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، بيروت، 2006، ص39

12 إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، ط4، عمان الأردن، 2011، ص13، 14.

13 عبد السلام المسدي، الأدب و خطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004، ص279.

14 شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، ط1، بيروت لبنان، 1993، ص17.

15 عيد الدحيات، النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت لبنان، 2007، ص30، 31.

16 شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص33.

17 أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق : ابراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، دط، دت، ص24.

18 صلاح عيد، التخييل نظرية الشعر العربي، مكتبة الآداب، دط، القاهرة مصر، دت، ص17.

19 شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقد التأثري العربي المعاصر نظرية التعبير ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون الجزائر، دت، ص33.

20 عماد علي سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده عرض وتوثيق وتطبيق، دار المسيرة، ط1، عمان الأردن، 2009، ص240.



21 أميرة حلمي مطر، مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، مصر، 2013، ص26.

22 ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة مصر، 1995، ص155.

23 إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص37.

24 أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255ه)، البيان و التبيين ج2، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت لبنان، دت، ص320.

25 إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص42.

26 يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة مصر، 1994، ص33.

27 عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، دط، القاهرة مصر، دت، ص4.